المرتكزات السيميائية في نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي

Semiotic foundations in the prophecies of ibn al-Jinan al-Ansari al-Andalusi

د: هنية جوادي، ط.د: راجية غانية
جامعة محمد خيضر-بسكرة، (الجزائر)، hania.djouadi@gmail.com
جامعة محمد خيضر- بسكرة، (الجزائر)، radjia.ghania@univ-biskra.dz

تاريخ الإيداع: 2021/00/00 **تاريخالمراجعة**:2021/00/00 **تاريخ النشر**: 2021/00/00

ملخص:

تدرس هذه الورقة البحثية نبويات الشاعر ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، وهي نصوص تكتسي أهمية كبيرة في التراث الأدبي للشاعر. وتستثمر الدراسة بعض المفاهيم السيميائية التي تفرض نفسها على القارئ، وتستقطب اهتمامه في مدحيات الشاعر للرسول ﷺ.ومن هذه المفاهيم مفهوم التّناص والتّشاكل اللذان يشكلان ملمحا بارزا في النصوص الشعرية المختارة، ويكشف عن التزام الشاعر وسعة ثقافته الدينية، وحرصه الشديد على الإشادة بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم.وتأييد معجزاته التي نصت عليها سور القرآن الكريم، التي راح يطعم قصائده بنسغها، ويذيب معانيها الروحانية مدائحه، وينهل من أساليبها وصياغتها بما يستل منها من مفرادات وتراكيب، يضئ بها ظلمات نفسه المتعبة الباحثة عن الطمأنينة والسكينة في عصر الهزيمة والتكالب الصليبي على الإسلام.

الكلماتالمفتاحية:

المرتكزات السيميائية – ابن الجنان الأنصاري – النبويات - التشاكل

Abstract:

This paper examines the prophecies of the Andalusian poet Ibn al-Jinan al-Ansari, texts of great importance in the poet's literary heritage. The study invests some semiotic concepts that impose themselves on the reader, and attracts his interest in the poet's praises of the Prophet, including the concept of dissonance and problems, which constitute a prominent feature in the chosen poetic texts, and reveals the poet's commitment and the breadth of his culture. Religious، and his keenness to pay tribute to the morals of the Prophet (pbuh) and support his miracles stipulated in the Wall of the Holy Quran, which he will feed his poems withtheir fabric, dissolve their spiritual meanings and praise them, and get rid of their methods and formulation With its detachments and compositions, it is illuminated by the darkness of his tired self seeking tranquillity andtranquillity in the era of defeat and crusader ism against Islam

Keywords: Semiotic،ibn al-Jinan al-Ansari al-Andalusi،the prophecies

المرتكزات السيميائية في نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي

1.بسط منهجي:

يعد المنهج السيميائي أهم الاتجاهات النقدية المعاصرة التي تسنى لها تحقيق إنجازات رائدة على مستوى التنظير والإجراء، يدل على هذا التواجد في الساحة النقدية، ما أفرزته التجربة السيميائية من تصورات، وصاغته من مفاهيم، ووظفته من تقنيات وأدوات إجرائية، بعدها" طريقة جديدة في فهم الظواهر وتأويلها، وهي أيضا طريقة جديدة في التعامل مع المعنى"[1]، وقد كان لها دور كبير على غرار مناهج ما بعد البنيوية في "نبذ الانغلاق النصي، وإعادة الاهتمام بالقارئ وعملية القراءة والتأويل الذاتي."[2]

فالنص لدى السيميائيين عبارة "شبكة من الثغرات، يقوم القارئ بفكها... لذا لا بد من مشاركة القارئ الفعالة لاكتمال النص، وللعثور على وحدة الدلالة الكامنة فيه"[3]، فهي تسعى إلى دراسة الدلالة، وتعمل على وصف كيفية اشتغالها، ما يجعل وظيفتها في المجال الأدبي، مهمة، بعده فضاء لغويا، يهدف إلى التأثير في النفس.

ومن هذا المنطلق، تمثل المقاربة السيميائية، في جانبها الإجرائي مجالا مشرعا على مختلف النصوص الأدبية القديمة والحديثة على حد سواء، بما تقترحه من آليات ومفاهيم وإمكانات تأويلية، من شأنها مساعدة القارئ على مقاربة النصوص، واستنباط دلالاتها، ولفت الانتباه إلى مستويات أغفلتها المناهج النقدية السابقة. ما جعلها تلقى اهتماما لدى ثلة من النقاد العرب المعاصرين، من بينهم الناقد محمد مفتاح وسعيد بن كراد ومحمد ناصر العجيمي وعبد الملك مرتاض... وغيرهم.

ومما سبق، يندرج موضوع هذه المداخلة الموسومة بـ: نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي (قراءة سيميائية) ضمن مجال اهتمامنا بمقاربة النصوص العربية التراثية في الأدب الأندلسي والمغربي، وفق مناهج النقد المعاصر الحداثية وما بعد الحداثة، إيمانا منا بأن "لباب النقد يكمن بلا جدال في البحث عن الحاضر الذي يتفاعل مع الماضي أو الجديد الذي يعانق القديم، أو الجدل الذي لا تستقيم فيه دعاوى الخلاف دون دعاوى القرب وشبه الاتفاق"[4]

تأسيسا على ما سبق، تتكئ هذه المقاربة على بعض المفاهيم السيميائية التي تشكل حضورا لا فتا في نبويات الشاعر ابن الجنان الأنصاري الأندلسي*، يتقدمها مفهوم التناص، والتشاكل أو المشاكلة التي تتمظهر في نسيج النص من خلال التكرار بمختلف مستوياته، الذي يمثل ظاهرة تتكرس وتفرض نفسها بقوة.

2.الغرض/ علامة:

المَدح نقيض الهجاء، و" مَدَحَهُ يَمْدَحُهُ مَدْحًا ومَدْحَةً... أحسن الثناء عليه، ونقيضه الهجاء... والمدح بمعنى الوصف الجميل، يقابله الذم، وهو بمعنى عدّ المآثر ويقابله الهجو... ومدحته مدحا أثنيت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية..." [5] والمدائح غرض شعري أصيل وهو" باب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص، وهي من فنون الشعر التي أذاعها التصوف[6]، وجوهر المدح النبوي الشكر والثناء، وتعداد صفات الرسول ﷺ. الخلقية والخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره

الشريف، والأماكن المقدسة التي ترتبط بسيرته العطرة، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى، وكذا الصلاة عليه، تقديرا وتعظيما لشأنه.[7] ولا غرو أن هذا المديح النبوي الخالص، يختلف كل الاختلاف عن المدح التكسبي الذي ظهر منذ العصر الجاهلي، وخص به الشعراء الملوك والأمراء وذوي المقامات الرفيعة والمكانة السامية، طلبا للمال أو التقرب من السلطان، وإنما هذا الثناء يخص رسول الله .عليه الصلاة والسلام، ويتناول شمائله وأفضاله على الإنسانية جمعاء..

ومن هنا، يتصل مدح الرسول .ﷺ. في نبويات ابن الجنان، بأسمى آيات المحبة والإخلاص والصدق والتضحية، ولا شك من أن رسولنا الكريم .ﷺ. يستحق كل الثناء والتكريم والتمجيد، فهو منبع لكل القيم والفضائل والخلال الكريمة. وهو الرحمة المهداة من الله ﷻ إلى عباده، وأقواله العطرة شاهد صدق على ما يقوله الشاعر، وقاله غيره من قَبْل.

3. النبويات الجنانية/ علامة:

تتصدر نبويات ابن الجنان قصائد ديوانه، لتحتل مساحة نصية واسعة من شعره وإذا ما أضيفت إلى الإلهيات، فإنّها كما يذهب محقق الديوان، الباحث منجد مصطفى بهجت، فهي: تؤلف نسبة 44% من محتويات الديوان، أي أقل بقليل من نصف الديوان، والموضوعان يأتيان متلازمين تلازما قويا ومتينا"[8]

وهذا التلازم يعبر عن المكانة الرفيعة والمقام العظيم الذي يحظى به الرسول الكريم في نصوص الشاعر، ويؤكد تمكن حبه .ﷺ. من قلب الشاعر وأنه .ﷺ. يسكن وجدانه وضميره أينما حل، وحيثما ارتحل؛ فنجده كلما ذكر الله سبحانه وتعالى متضرعا داعيا إلا وتوجه إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، يطلب شفاعته. ومثل هذا التلازم بين النبويات والإلهيات نقف عليه في شعائر الإسلام قواعده وأركانه .كما في الآذان والصلاة .وبذلك فالشاعر يمزج بين النبويات والإلهيات، وهي القصائد التي قالها في الذات الإلهية، ولكنه أفرد قصائد خاصة مدح فيها الرسول .ﷺ. ومن أهمها قصيدته الشريفة التي يصل عدد أبياتها مائة وأربعين بيتا، وهناك العينية والمخمسة، وتقع هذه الأخيرة في تسع وعشرين مقطعا شعريا.

وقد تفطن النقاد العرب القدامى وفي مقدمتهم الجاحظ إلى رمزية الغرض الشعري، فيذهب إلى أنه غير مقصود لذاته، بل إنما هو واجه للتعبير عن رؤية أو موقف اجتماعي أو سياسي أو نفسي...[9]

والتجاء الشاعر إلى رحاب المدح المحمدي في تقديرنا، كان طلبا للسكينة والطمأنينة، وبحثا عن عالم بديل عن الواقع المرير الذي يعيشه، فالشاعر يصبو في مدائحه إلى تحقيق الاستئناس والطمأنينة، و ينشد راحة أبدية، تسلي روحه المتعبة، وتنسيه همومه، حال بينه وبينها اغترابه عن موطنه بسبب تكالب العدوان الصليبي على بلاد الأندلس، واضطراره إلى التنقل من مكان إلى آخر من (أوريولة) شرق الأندلس التي ترك فيها والده وأهله إلى مرسية، ثم إلى سبتة وبجاية، وما صاحب هذا الترحال من قهر ومشقة وحرمان واغتراب روحي... وقد أتاح له النزوع إلى شخصية الرسول ﷺ، وسيرته العطرة الزكية، اعتناق الكيان المفعم بالرفعة والسمو، و خلق صلة

روحية وطيدة بمرجعيات دينية و تراثية سالفة. ككتاب الله وسنة رسوله وسيرته الزكية، وعيون أشعار المدح النبوي الشريف التي بدت آثارها جلية واضحة في نبوياته. وهي القصائد التي نسعى في هذه الورقة البحثية إلى كشف أهم الظواهر السيميائية التي اتكأت عليها. وستكون الانطلاقة من تعانقها النصي مع القرآن الكريم.

4.سيميائية التناص القرآني:

نشير بادئ ذي بدء إلى أن التناص (Intertextualité) مصطلح نقدي أطلق في العصر الحديث من قبل الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا إلى مضت به أشواطا نحو التبلور والنضج في دراساتها النقدية، فقد ذهبت إلى أن كل نص ما هو إلا " لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"[10].

وفي تحديدها لمفهوم التناص ترى الناقدة أنه" ترحال سابق وتداخل نص في فضاء نص معين، تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة متقطعة من نصوص أخرى"[11]، ويقر الناقد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص) بصعوبة ضبط هذا المصطلح، وعسر تقنينه، فهو في نظره:" تعالق نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة، وهو ظاهرة لغوية معقدة، يصعب ضبطها وتقنينها، لأنها تعقد بالدرجة الأولى على ثقافة المتلقي ومعرفته الواسعة وقدرته على الترجيح، إضافة على الاعتماد على مؤشرات في النص، تجعله يكشف عن نفسه،[12] ومن هنا فإن النص الإبداعي أيا كان جنسه، هو تحويل لمركب موجود سالفا، فالموروث الأدبي والتاريخي والأسطوري، وكذا النصوص المتزامنة، كلها مرجعيات ومصادر تسهم بشكل أو بآخر في بناء هويته، فاللغة التي تنسج عالم النص الأدبي، تسكنها دوما لغات أخرى أو نصوص أخرى..

ومن هذا المنطلق، فإنا تتبعنا لتجليات أشكال التناص في نبويات ابن الجنان، هو بمثابة ملاحقة لهوية النص ودلالاته الناجمة عن توظيف علائقه. خاصة مع النص القرآني، إذ إن المتأمل في النصوص الشعرية قيد الدراسة، يلفي أن النص القرآني، تبوأ مكانة مهمة بين المرجعيات التي نهل منها الشاعر، فقد استأثر باهتمامه، وتفاعلت قصائده مع آياته الكريمة، فكان بذلك المصدر الأساسي الذي غذى هذه التجارب الشعرية، وأمدّها من فيض معانيه وأسلوبه الذي يعد.كما هو معلوم." نسيجا وحده في النظم والتأليف، والنّسق البياني، متميزا بطابع خاص من سائر الأساليب النثرية، لا يدانيه أسلوب، أو يرقى إلى سموه بيان"،[13] فكان بذلك " مصدر إلهام للذات الشاعرة، تتفيأ ظلال لغته، وتتأمل في حضرة الكلام الإلهي، وتنهل من ينابيعه المختلفة وتتزود من ما شاء لها من إعجازه، وتنوع أساليبه، واختلاف إشاراته ووفرة مخاطباته، وتستمد الذات المبدعة شاعريتها البشرية من شاعرية النص القرآني"[14]، كما أن "توظيف النصوص الدينية القرآنية خاصة في الشعر، يعد من أنجع الأساليب الفنية، وذلك لأن هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه".[15]

وتحسن الإشارة إلى أن ابن الجنان أورد نبوياته في مساقين اثنين، يتأسس الأول منهما على ذكر خصال النبي الكريم ﷺ، وتعداد مناقبه الفاضلة، وأخلاقه العطرة التي هي من أخلاق القرآن الكريم... أما الثاني؛ فينوه فيه الشاعر بمعجزات الرسول ﷺ التي أيده الله تعالى بها، وعلى هذا النحو توشّح مدح ابن الجنان للرسول ﷺ بوشاح القرآن الكريم، ومتح من نسغ معانيه بطرق وأساليب مختلفة، تقترب من النص القرآني تارة، وتلمع إليه

تارة أخرى، ولكنها تبقي دائما على وشائج الوصل بينها وبينه، ويبقى هذا الأخير المصدر التكويني الأول والرئيس للنص الشعري الموجه لمدح الرسول ﷺ لدى الشاعر.

يقول ابن الجنان مشيدا بعظمة صفات الرسول ﷺ:[16]

سَلاَمٌ عَلَى اَلْمَوصُوفِ بِالخُلق اَلْذيِ بِتَعظِيمِه زُين اَلْثَنَاءُ وَمَجَدا
سَلاَمٌ عَلَى مَنْ كَانَ بِالْرِفقِ مُرفقاً وَبِالرَفدِ فِي كُلِ اَلْقضيَات مُرفِدا

فالشاعر يستدعي قوله تعالى في سورة القلم: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم"[17]، ليؤكد عظمة أخلاق الرسول ﷺ التي أعلى الله من شأنها، وعظمها؛ فأخلاق الرسول الكريم عظيمة وشمائله فاضلة ولا أدل من القرآن الكريم على عظمتها ونبلها.

أما في البيت الثاني فنجده يستلهم قوله تعالى في سورة آل عمران:" **فَبِمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّه لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ،**"[18] فالشاعر يصف من خلال استحضاره للآية الكريمة، لين الرسول ﷺ، ورأفته بأتباعه، حبا منه لأصحابه، ورغبة في لم شملهم، وتوحيد جمعهم، وترغيبهم في الدين الإسلامي الحنيف، لأن القسوة والشدة، تذهب قوة الجماعة، وتشتت كلمتها.

ويشير الشاعر في مواطن كثيرة من نبوياته إلى خلق الرحمة التي أمَنَّ بها الله تعالى على رسوله الكريم. ﷺ. في زمن عزت فيه الرّحمة بكل معانيها، واشتد فيه بطش الكفار بالمسلمين، وتواتر الحديث عن رحمته. ﷺ. في مدحيات الشاعر، يكون بدافع افتقاد هذه القيمة العظيمة في عصر الشاعر ابن الجنان الذي تكالب فيه الأعداء الصليبيين على بلاد المسلمين، فأذاقوهم أشد أنواع التنكيل والعذاب، دون شفقة ولا رحمة. فكأن الشاعر هنا يستعيد سعة خلق الرحمة والرأفة بالآخر، التي اتصف بها الرسول. ﷺ وطالما دعا إليها، وارتبطت بشخصيته. ﷺ. فقد بعثه الله تعالى رسولا للرحمة التي شملت حتى أعداءه من الكفار، وقد حملت سيرته العطرة صورا كثيرا لتجلياتها وفي هذا الصدد يورد الشاعر:[19]

سَلاَمٌ عَلَى المَبْعُوثِ لِلنَّاسِ رَحْمَةً لِيُنْقِذَ مَنْ مَهْوَى الرَّدى مَنْ تورّدا

ويورد في مخمسته:[20]

اللَّه زَادَ مُحَمـدًا تَكْـريـمَـــا
وَحَبَـاهُ فَضْلاً مِنْ لَدُنّه عَظيمَـا
واخْتَصَّـهُ فِي المُرْسَلِيـن كَريمَـا

ذَا رَأْفَةٍ بِالمُؤمِنينَ رَحِيمَا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِمُوا تَسْلِيمَا

المرتكزات السيميائية في نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي

ففي المثالين، يستثمر الشاعر قوله تعالى في سورة الأنبياء:" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**"[21]، وكذا قوله ﷻ في التوبة:" **لقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌعَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤمِنِينَ رَءوفٌ رَحِيمٌ**"[22]، والشاعر باستحضاره لمعاني الآيتين، يدعو القارئ إلى التأمل في عظمة الرسالة المحمدية، التي جاءت رحمة للعالمين، رحمة تتسع لتشمل الإنسان والحيوان والطير، لذا فمن الواجب على كل مسلم توقير وتعظيم شخصية نبي الرحمة والعدل محمد.ﷺ.

وتتواتر في نبويات الشاعر التناصات القرآنية التي تتصل بأخلاق خير البرية محمد.ﷺ، ويبدي انشغالا ملحوظا بالبحث عن القيم النبيلة المفقودة في عصره، فنجده يبذل جهدا كبيرا، ويقف طاقته على سياق صفات الرسول وخلاله الكريمة، فهو إمام المسلمين وصفاته أبهرت أهل البراعة، وتصب هذه النصوص القرآنية المستلهمة في سياق التأكيد على نبل الشمائل المحمدية، وعظمة مقام الرسول.ﷺ.عند الله تعالى، لذا فإن الشاعر يجد صعوبة في الإلمام بهذه الشمائل والمكارم جميعها، على غرار أهل البراعة الذين عجزوا عن إدراك كل مناحيها، ويدل هذا على كثرتها وعظمة شموليتها وهذا ما يعبر عنه في قوله:[23]

لخَاتِمِ الرُّسْلِ أعْنِي ... إمَامَ تِلْكَ الجَمَاعَة
لأبْهَرِ الخُلْقِ مَجْدًا ... يَحْكِي الصّبَاحَ نَصَاعَة
لِمَنْ صِفَاتُ عُلَاهُ ... تُعْجِزُ أَهْل البَرَاعَة

ويكون الشاعر يهدف من اتكائه على النص القرآني إلى التعبير عن إيمانه بتفرد الرسول.ﷺ.بهذه الشمائل والخلال الكريمة، لذا نجده يقتبس من نور القرآن، وينهل من ينبوعه العذب تأكيدا لموقفه الديني المشع بالإيمان والحب؛ حب الرسول الكريم، ، ولا غرو من أن حبه هو الوسيلة التي يرى من خلالها المؤمن نور الله تعالى، فالرسول.ﷺ.هو المصباح المنير الذي أخرج البشرية من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، ومن ثم يسعى الشاعر من خلال هذه التناصات القرآنية التي تآلفت مع نصوصه المدحية، وانسجمت مع ما جاء فيها من معاني ودلالات، إلى بعث القيم الخلقية (المحمدية) التي حاول الأعداء الصليبيين طمسها، وكأنه باستحضاره لهذه الإشارات القرآنية الكريمة يريد أن يمدّ حبائل هذه القيم النبيلة والأخلاق السامية الرفيعة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم.يمثل نموذجها القويم، ويجعلها تحيا في نصه لتحييه، وتدعم شاعريته الفذّة، التي حباها القرآن الكريم من معانيه ومن روحانيته أبعادا جمالية وفنية. وكرسها الشاعر للهداية ولفت انتباه المسلمين إلى أخلاق الإسلام، التي تمثل عماد الحياة الدنيا.

أما المسار الثاني الذي ساق فيه الشاعر بن الجنان قصائده المدحية النّبوية، والمتمثل في معجزات الرسول.ﷺ، تلك المعجزات الساطعة البينة، التي أيده الله بها، وهي كما يقول الشاعر:[24]

مُحَمّدٌ خَيْرُ مُبْدٍ ... لنَا سَنَا مُعْجِزاته
أكْرِم بِه مِنْ نَبِي ... هَمَتْ سَمَا مُكْرَمَاتِه

ويمثل الحديث عن المعجزات المحمدية أبرز محاور قصيدته (المباركة الشريفة)، التي راح الشاعر يغنيها ويسقيها من فيض القرآن الكريم من خلال إشارته لكثير من الآيات القرآنية المؤكدة لهذه المعجزات الربانية التي أثبتت صدق النبوة المحمدية، وقوت قلب الرسول الكريم .ﷺ. ومن المعجزات التي أشار إليها الشاعر، وتمثل معناها في أكثر من بيت من قصيدته الشريفة، نجد حادثة شق الصدر، حيث يورد الشاعر:[25]

سَلاَمٌ علَى من طَهَّر اللَّه قلْبَه فَأَصْدَرَ شَرْحَ الصَّدرِ مِنْهُ وأوْرَدَا

ويورد الشاعر في نفس القصيدة:[26]

سَلاَم عَلَى المَرْفوُعِ فِي الذِّكْرِ ذِكْره لتتْلى لَهُ الأمْدَاحَ فِيه وَتُسْردَا

فالشاعر في البيتين، يشير إلى قوله تعالى في سورة الشرح "**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أنقَض ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**"[27]، ففي الآيات الكريمة، يذّكر الله جل وعلا رسوله الكريم. صلى الله عليه وسلم. بالنّعم الكبيرة التي أمنّ بها عليه، وأكرمه بها، كشرح صدره، وجعله فسيحا رحبا لا ضيق فيه، وإعلائه من مكانته، ورفع منزلته، بأن جعل ذكره يقترن بذكره جلا جلاله.

ويلمع الشاعر إلى خطاب الله تعالى لأولئك المشككين في القرآن الكريم المنزل على رسول الله .ﷺ. بقوله:[28]

سَلاَمُ علَى مَنْ كَلَفَ الوَحْيَ سُورة تَشَابَه نَظْمًا فَكُلٌ تَبَلَّدَا

ويستحضر في هذا البيت الشعري قول الله تعالى في سورة البقرة:" **وإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ**"[29]

ففي هذه الآيات الكريمة يخاطب الله تعالى الذين أعرضوا عن كتاب الله، المنزل على عبده .محمد. ﷺ، بأن يأتوا ولو بسورة من مثل سور القرآن، وفي استحضار الشاعر لعجز هؤلاء المعرضين المشككين، دليل على إيمان الشاعر الكبير، وتصديقه المطلق لمعجزات النبي المصطفى، وصحة ما دعا إليه الله تعالى.

كما تتسرب معاني القرآن الكريم الدالة على معجزات الرسول .ﷺ. فتنتشر في مقاطع كثيرة من قصيدته الشريفة، كاستيحاء قوله تعالى في سورة الصف:" **وإِذَ قَال عِيسَى ابْنُ مَريَم يَا بَنِي إِسْرائيل إِنّي رَسُول اللَّه إِليْكُم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَي مِنَ التَّوراة ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبيِّناتِ قَالُوا هَذَا سِحْر مُبِين**".[30] وقد ألمع الشاعر إلى هذه الآية الكريمة بقوله:[31]

سَلاَمٌ عَلَى بُشْرَى المَسِيحِ بنُ مَريَمَ فَقَدْ صَدقَتْ لِلْصَادِقِ الوَعْدَ مواعِدَا

المرتكزات السيميائية في نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي

لقد بُشر عيسى ابن مريم ببعثة خاتم النبيين أحمد .ﷺ .وهو رسول الله محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وأحمد النّاس لربه. وفي استحضار الشاعر لهذه الآية الكريمة، تأكيد على إيمانه القويّ، وتصديقه المطلق لمعجزات الرّسول .ﷺ، ورد على حملات التّشويه التي طالت شخصه الكريم في عصر الشاعر من قبل الصلبيين، بعد تراجع قوة المسلمين أمام تكالب الممالك الإسبانية، وتراجع سيطرة دولة الموحدين، وخروج شرق الأندلس عن طاعة الموحدين، ثم سقوط مرسية مدينة ابن الجنان في قبضة الإسبان الذين قوت شوكتهم، وهذه الوقائع وغيرها أججت روح الدفاع عن الإسلام ونبي الإسلام من قبل الشاعر، وقد تحول مدح الرسول صلى الله عليه وسلام الملاذ الوحيد لدى الشاعر، والحصن الروحي الذي يلجأ إليه بعد أن ضياع المجد المادي للحضارة الإسلامية بسقوط الأندلس.

ويشير الشاعر إلى ما ورد في الآية الكريمة **"فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنْ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيتَ إِذْ رَمَيتَ وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى وَلِيَبْلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ اللَّه سَمِيع عَلِيمٌ"**[32] فالله سبحانه وتعالى من قتل أعداء دينه بتقويته ونصرته للمسلمين يوم بدر، حيث يورد هذا المعنى القرآني في قوله:[33]

سَلاَمٌ عَلَى المَنْصُورِ بِالرُّعْبِ وَالّذِي ... أَمَدّ بِأَمْدَادِ السَّماءِ عَلَى العِدى

سَلاَمٌ عَلَى مَنْ قَدْ رَمَى اللَّه إِذْ رَمَى ... فَأَعْشَى عُيونَ المُشْرِكِينَ وَارْمَدَا

استطاع الشاعر من خلال هذه التناصات القرآنية التي تفاعلت معها نصوصه أن يثري مضامين قصائده النبوية، وأن يعبر عن عمق إيمانه بمعجزات الرسول .ﷺ .بما انطوت عليه هذه الآيات القرآنية من معان ودلالات، أكدت المساقات الرئيسة في هذه النصوص المدحية والمتصلة بالإشادة بأخلاق الرسول وفضائله وكذا تأييد معجزاته. ومن ثم بدا واضحا أن الشاعر استطاع أن يغني نصه الشعري بمثل هذه الإشارات القرآنية وأن يكسبه كثافة دلالية وأن يحقق تطابقا بين موضوعه الشعري ومضامين النصوص القرآنية التي تعالق معها.

كما تتكئ نبويات ابن الجنان على كثير من المؤشرات الأسلوبية التي عززت هذه التجربة الشعرية المدحية، وكان لها أثرها البالغ في بلورة الدلالة الكلية لهذه النصوص التي تصب في تأكيد توقير الرسول الكريم وتعظيم شمائله وصفاتها والدعوة إلى الإيمان بمعجزاته الخالدة، ويمكن لنا أن نقتصر الحديث عن دلائلية التشاكل.

5. سيميائية التشاكل:

وحتى يدعم الشاعر تجربته الشعرية في مدح خير البرية، ويرسخ معانيها التي استوحاها بدرجة كبيرة من النص الديني الذي اشتغلت عليه نصوصه، وتآلفت معه، وبهدف التأثير في القارئ، اتكأ الشاعر على التشاكل أو المشاكلة بعده ملمحا سيميائيا من شأنه أن يسهم بقوة في تشكيل، ورفد مختلف الدلالات العميقة التي تنطوي عليها هذه النصوص المدحية، ومن ثم سنحاول تتبع تجليات التشاكل من خلال استقصاء أهم المفردات والتراكيب التي ارتكز عليها الشاعر، وعمد إلى تكرارها بكثرة، ولكن قبل ذلك تحسن الإشارة إلى أن مفهوم

التشاكل يتحدد بوصفه: تكرا را لوحدة لسانية مهما كانت... وهو لا ينحصر حسب (F .Rastier) في جانب المضمون(Contenu)

فقد يتجلى في الشكل بصور مختلفة، كأن يكون صوتيا، نبريا، إيقاعيا، منطقيا، معنويا... وما إلى ذلك[34]، إنه "تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنية، إما بالتكرار أو بالتماثل أو بالتعارض، سطحيا وعميقا، سلبا وإيجابا"[35]

وينهض التشاكل كما يذهب الناقد عبد الملك مرتاض "على شيء من التوصيف المحايد للكلام إفرادا وتركيبا من أجل الكشف عن العلاقات الكامنة في النص وتحديد معالم نسجه"[36] ويمكن لنا الوقوف عند التمظهرات الآتية:

.سيميائية الكلمة:

من الظواهر اللغوية التي يمكن أن يقف عليها القارئ لدالية ابن الجنان التزام الشاعر بتكرار كلمة سلام، على مدار القصيدة، ففي المائة والأربعين بيتا، وهو عدد أبيات القصيدة، عمد الشاعر إلى تكرار هذه الكلمة المفتاحية البالغة الدلالة، بداية كل بيت، بدءا من مطلعها الذي جاء فيه[37]

سَلاَم علَى من جَاءَ بِالحَقِ والهُدى ومَنْ لمْ يَزل بالمُعجِزات مؤيدا
سَلاَم علَى خَيْر البَرِيَّة شِيمَة وأكرمها نفسا وبَيتًا وَمحْتَدا

ويورد في خاتمتها:[38]

سَلاَمٌ علَى آل النَّبي وَصَحْبِه سَلاَمُ كَمَا يُرضَي النَّبِي مُحَمَّدَا
سَلاَمٌ عَلَيهم مثلُ طيبِ ثَنَائِهم هُو المِسْكُ أَو لِلمِسْكِ مِنْ عُرفِه جَدا
سَلاَمٌ عَلَيْهم إنَّ حُبَّ جَميعُهم لَتُلْفِيه فِي مَرْضَاة أحْمَد أحْمَدا

وكلمة سلام التي يتواتر ذكرها في هذه القصيدة، تعني السلامة والنجاة والدعاء بالعناية والحفظ، وهي اسم من أسماء الله الحسنى، بمعنى الكفيل والحفيظ، فقد جاء في قوله تعالى: " هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَإِلَه إِلَّا هُو المَلِكُ القُدُوسُ السَّلاّم المُؤْمِن المُهَيْمَنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّر سُبْحَانَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون"[39] وسمي السلام لسلامته من أي نقص وعيب. والسّلام لفظة من الألفاظ الواردة بكثرة في القرآن الكريم، فالإسلام دين السلام، ورسوله رسول الهداية إلى السلام بعث للإنسانية، حفاظا على سلامتها وأمنها وراحتها، وتحية المسلم السلام يلقيها وينشره على من حوله...والنص القرآني دعا للسلام في آيات كثيرة، فقد وردت في سورة الحجر في قوله تعالى" ادْخلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنين"[40] أي ادخلوا الجنة سالمين من الآفات، وجاء في سورة الفجر" سَلَامٌ هِي حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ"[41].

المرتكزات السيميائية في نبويات ابن الجنان الأنصاري الأندلسي

وتحمل لفظة (سلام) التي يتواتر ذكرها في نبويات الشاعر شحنة دلالية، ودفقا فياضا من مشاعر الطمأنينة والاستقرار، التي ينشدها الشاعر وينبه القارئ إلى أنّها من دعائم الدين الإسلامي، وهي تشي إلى دار السلام وجنة النعيم التي وعد بها الله عباده المتقين، واقترانها في القصيدة بحرف الجر (على) يليه اسم موصول(من)، التي تعود على الرسول الكريم، يجعلها تعني سلام الله وحفظه على رسوله الكريم. محمد ﷺ. وعلى آله وصحبه أجمعين، فالشاعر في هذا المقام يلبي دعوة الله المؤمنينَ أن يدعوا للرسول ﷺ بالسلامة من كل شر، حيث يقول جلّ جلاله في الأحزاب:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا[42] وفي هذا الصدد ، يورد في عينيته:[43]

يَا رَب بَلِغْ سَلاَمِي لأَحْمَدْ ذِي الشَّفَاعَهْ
لِخَاتِمِ الرُّسْلِ أعْنِي إمَامَ تِلْكَ الجَمَاعَهْ

ويأتي الشاعر في تائيته على تكرار اسم محمد. ﷺ. حيث يورد:[44]

مُحَمّدٌ خَيْرُ هَادٍ بِحِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ دَاعٍ بالصدق مِنْ كَلِمَاتِهِ
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مبد لَنَا سَنَا مُعْجِزَاتِهِ

ويعمد إلى توظيف التشاكل المعنوي، من خلال إيراده لكلمتي نبي ورسول الدالتين على محمد. ﷺ، فيقول في البيتين الموالين:[45]

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ نَبِيٍّ هَمَتْ سَمَا مُكْرَمَاتِه
أعْزِزْ بِهِ مِنْ رَسُولٍ سَمَتْ عُلَا مُكْرَمَاتِهِ

وتشكل الأبيات الوارد في المثالين الأخيرين حزمة من الإيقاعات إلى لا تخلو من وقع جميل مؤثر في وجدان القارئ، ينبثق لا محالة من عواطف الشاعر الدينية الجياشة ومن صدق إيمانه بعظمة شمائل الرسول. صلى الله عليه وسلم. نلمسها في انسجام الكلمات، بفعل تشاكلها مورفولوجيا: (هاد، داع، مبد) الناجمة عن تكرار صيغة فاعل، و(أعزز، أكرم) الناجمة عن تكرار صيغة أفعل (وهمت، سمت) الناجمة عن تكرار صيغة فعل، وقد ولد مثل هذا التماثل الإيقاعي، وهذه التشاكلات على تنوعها تؤكد نزوع الشاعر.

ويلتزم الشاعر في مخمسته عبارة: صلوا عليه وسلموا تسليما، ويتخذها الشطر الخامس من كل بيت، حيث يورد فيها:[46]

شَمْسُ اَلْهِدَايَة، بَدرُهَا المُلْتَاحُ

قُـطْـبُ الـجَـلاَلَـةُ، نُـورُهَـا الوَضَّـاحُ

غَـيْـثُ اَلْسَمَـاحَـة، لِلنَـدَى يَرتَـاحُ

يَرْوِي بِكَوْثَرِه الظماء الِهِيمَا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِمُوا تَسْلِيمَا

ونعثر أيضا على تشاكل لفظي في ميميته النبوية، تولّد عن تكرار الشاعر لعبارة (صلوا على) بداية الأبيات السبع الأولى من القصيدة، وقد ولد مثل هذا التكرار جرسا عذبا يلامس شغاف القلوب، وهو يحث على الصلاة على خير الأنام محمد ﷺ، حيث يقول:[47]

صَلُّوا عَلَى خَيْر البِرِيّةِ خَيّمَا وَأَجَلَّ مَنْ حَازَ الفَخَارَ صَمِيمَا

صَلُّوا عَلَى مَنْ شَرُفَتْ بِوُجُودِهِ أَرْجَاءَ مَكَّةَ زَمْزَمَا وَحَطِيمَا

خاتمة:

أفضت بنا مقاربة أهم الظواهر السيميائية في نبويات الشاعر ابن الجنان الأنصاري الأندلسي إلى جملة من النتائج نوجزها في الآتي:

- يشكل النص العربي القديم فضاء خصبا لمختلف المقاربات النقدية المعاصرة، لما يتوفر عليه من إمكانات معرفية وفنية، ما يجعله مجالا مهما للدرس والتحليل.

- تمثل نبويات ابن الجنان أنموذجا شعريا، يجسد مستويات مختلفة للتعالق النصي تفرض نفسها على القارئ وتستثير اهتمامه، ويشكل التناص القرآني في هذه النصوص، مرجعية أساسية في تكوين النص الشعري. ولا نعدم وجود تناصات أخرى دينية وتاريخية (سيرة الرسول ﷺ) وأدبية..

- يعمد الشاعر عند استحضاره لنصوص القرآن الكريم إلى توظيف إشارات جزئية متنوعة في أبيات القصيدة الواحدة، يستقيها من القرآن الكريم، لتأييد موقفه المجلِّ لشمائل الرسول، المؤمن بمعجزاته، لكن ما أن تأخذ الإشارة القرآنية الواحدة طريقها إلى وجدان القارئ لتأخذه إلى فضاءات النص الغائب الذي يستحضره سرعان ما ينتقل الشاعر بقارئه إلى رحاب إشارة جديدة، وسورة جديدة، يلمع إليها وهكذا إلى نهاية القصيدة.

- حولت التناصات القرآنية فضاء القصيدة المدحية لدى ابن الجنان إلى أفق دلالي ووجداني رحب، يأخذ مناح رمزية تشي بما ينشده الشاعر من سكينة ووقار لشخص الرسول واعتزاز بالدين الإسلامي الحنيف. ومن ثم يجسد مثل هذا التعالق التزام الشاعر بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، وحرصه على التأثير في القارئ تأثيرا إيجابيا.

– وظف الشاعر مجموعة كبيرة من المؤشرات الأسلوبية اشتغاله على التشاكل الذي ومن تمظهراته التكرار بأنواعه والترادف والتجانس.. وقد أضفت هذه الأساليب انسجاما ورونقا جماليا على قصائد الشاعر، وكان لها بالغ الأثر على القارئ.

هوامش وإحالات المقال

[1] سعيد بن كراد، مسالك المعنى (دراسة في بعض الأنساق الثقافية العربية) دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط1، (د.ت) ص15

[2] حاتم الصكر، ترويض النص (دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات ومنهجيات) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)1988، ص109

[3] المرجع نفسه، ص 110

[4] مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت)، (د. ط) ص13

*هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان وهو من شعراء القرن السابع الهجري، عصر الموحدين، حيث شهد مجد الدولة الموحدية، كما شهد انحصارها.توفي في بجاية سنة، 650 ه (ينظر الديوان، تح: منجد مصطفى، جامعة الموصل، 1990ص15)

[5] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (مادة مدح) دار مكتبة الحياة، مصر، ط1، 1306ه، ص220 221

[6] زكي مبارك، المدائح النبوية، دار المحجة البيضاء، (د.ت) (د. ط)، ص18

[7] ينظر جميل حمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، موقع ديوان العرب على الرابط الإلكتروني :www .diwanalarab.com _ يناير 2007، تاريخ الزيارة: 2021.3.13، 17 سا

[8] منجد مصطفى بهجت، ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي (شاعر المديح النبويبالأندلس في القرن السابع الهجري) جامعة الموصل، العراق، 1990، ص25

[9] ينظر الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969، ص20 21

[10] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ص32

[11] جوليا كريستيفا، عالم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص25

[12] محمد مفتاح، تحليل الخطاب السردي (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992، ص119 120

[13] صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1988، ص48 49

[14] محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر العربي المعاصر، ط1، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص323 324

[15] صلاح فضل، إنتاج الدلالة (قراءة في الشعر والقصص والمسرح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 1993، ص41

[16] ابن الجناان الأنصاري، الديوان، تح: منجد مصطفى، جامعة الموصل، 1990 ص85

[17] سورة القلم، الآية04

[18] سورة آل عمران، الآية 159

[19] ابن الجنان، الديوان، ص86

[20] المصدر نفسه، ص56

[21] سورة الأنبياء، الآية 107

[22] سورة التوبة، الآية: 128

[23] ابن الجنان، الديوان، ص27

[24] المصدر نفسه، ص74

[25] المصدر نفسه، ص81

[26] المصدر نفسه، ص85

[27] سورة الشرح، الآيات: 1، 2، 3، 4

[28]ابن الجنان، الديوان، ص86

[29] سورة البقرة، الآية: 23 24

[30] سورة الصف الآية:6

[31] ابن الجنان، الديوان، ص83

[32] سورة الأنفال، الآية:17

[33] ابن الجنان، الديوان، ص91

[34] ينظر، منصوري مصطفى، بنية التشاكل والتقابل في معلقة لبيد، محاضرات الملتقى الثاني (السيمياء والنص الأدبي)،15، 16، أفريل،2002، جامعة بسكرة، ص324

[35] ينظر عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لأشجان يمانية(ط،1) دار المنتخب، بيروت، ص'42

[36] عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة الجزائر،2005، ص120

[37] ابن الجنان، الديوان، ص70

[38] المصدر نفسه، ص96

[39] سورة الحشر، الآية:23

[40] سورة الحجر، الآية: 46

[41] سورة الفجر، الآية:5

[42] الأحزاب، الآية:56

[43] ابن الجنان، الديوان، ص116

[44] المصدر نفسه، ص74

[45] المصدر، نفسه، ص47

[46] المصدر نفسه، ص515

[47] المصدر نفسه، ص148

قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن الجنان الأنصاري، الديوان، تح: منجد مصطفى، جامعة الموصل، 1990م
2. الجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969م.
3. جميل حمداوي، شعر المديح النبوي في الأدب العربي، موقع ديوان العرب على الرابط الإلكتروني :www .diwanalarab.com _ يناير 2007، تاريخ الزيارة: 2021.3.13، 17 سا.
4. جوليا كريستيفا، عالم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
5. حاتم الصكر، ترويض النص (دراسة للتحليل النصي في النقد المعاصر، إجراءات ومنهجيات) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د. ط)، 1988م
6. زكي مبارك، المدائح النبوية، دار المحجة البيضاء، (د.ت) (د. ط).
7. سعيد بن كراد، مسالك المعنى (دراسة في بعض الأنساق الثقافية العربية) دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط1، (د.ت) .
8. صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1988م.
9. صلاح فضل، إنتاج الدلالة (قراءة في الشعر والقصص والمسرح، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 1993م.
10. عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية.
11. عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة الجزائر،2005م
12. عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركب لأشجان يمانية (ط،1) دار المنتخب، بيروت.
13. محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر العربي المعاصر، ط1، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2001م
14. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، مصر، ط1، 1306هـ
15. محمد مفتاح، تحليل الخطاب السردي (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،1992.
16. مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت(د.ت)، (د. ط).
17. منجد مصطفى بهجت، ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي (شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري) جامعة الموصل، العراق، 1990.

18. منصوري مصطفى، بنية التشاكل والتقابل في معلقة لبيد، محاضرات الملتقى الثاني (السيمياء والنص الأدبي)،15، 16، أفريل،2002، جامعة بسكرة.